سيرورة صامت النّون الفونولوجية بين القدامى والدّرس الصّوتي الحديث

د. أحمد طيبي، جامعة الدّكتور مولاي الطّاهر بسعيدة، الجزائر.
د. ميلود ماريف، جامعة الدّكتور مولاي الطّاهر بسعيدة، الجزائر.

ملخّص

إذا كان الشّائع في الدّراسات الصّوتيّة القديمة ، سواءً تلك المعروفة عند اللّغويين أوْ عند علماء القراءات والتّجويد ، أنّ النّون السّاكنة تتنازعها مجموعةٌ من الأحكام بحسب طبيعة الصّوامت التي تشكل معها نفس العنقود الصّوتيّ ، وهي تلك المشهورة باصطلاحات : الإظهار ، الإخفاء ، القلب ، والإدْغام بغنّة ، وبلا غنّة ، فإنّنا نروم ، في مقالنا هذا ، وفي إطار نظرية المفاصلة (Optimality theory) معالجة الظّواهر الصّوتيّة الثّلاث (الإخفاء ، والإقلاب ، والإدْغام بغنّة) في إطارٍ واحدٍ ، هو إطار المماثلة المخرجيّة ، لأنّه يجمعها ، في الأصل ، حكمٌ نطقيٌ واحدٌ ، وما ورد عن القدامى في معالجتهم للنّون السّاكنة وتخصيصها بأحكام ثلاثة يختلف أحدها عن الآخر ، لا يوافق الواقع الصّوتيّ الحقيقيّ لما يحصل فعلا للنّون عند مجاورتها الاستباقيّة لصوامت الفمّ ، إنّ ما أكّدته كثير من الدّراسات الصّوتيّة والفونولوجيّة الحديثة يشير إلى أنّ ما يحصل للنّون مع صوامت الإخفاء الخمسة عشر بالإضافة أحيانا إلى (الغنّ ، والخاء) ، وما يحصل لها مع صامت الإقلاب (الباء) ، وما يحصل لها كذلك حتن إدغامها بغنّة عند المقاربتن (الواو ، و الياء) ، هو شيءٌ واحدٌ لا يتعدّى كونه مماثلة النّون لمواضع (Place assimilation) هذه الصّوامت مجتمعة ، أو هو عمليّةٌ نطقيّةٌ واحدة بدايتها الغنّة المتبقّية من النّون ، ونهايتها الصّامت الفمويّ الموالي ، وبالتالي فليس هناك ما يدعو لاعتماد تسمياتٍ مختلفةٍ لنفس السّيرورة الفونولوجيّة .

Résumé

S'il est courant dans les études phonétiques et phonologiques anciennes, à la fois celles qui sont connues chez les linguistes ou chez les savants de récitation et de tajweed, que la consonne [n] (nün es-sakina) connait un conflit de multiples processus phonologiques qui varient selon la nature des consonnes qui composent avec le même cluster, et ce sont ceux réputés par ces fameux termes tels : (la Clarification, la Latence, la Substitution, l'Assimilation partielle avec nasillement, et l'Assimilation totale sans nasillement).

Nous voulons, dans notre article et dans le cadre de la (théorie de l'optimalité), traiter les trois phénomènes acoustiques (la Latence, la Substitution, l'Assimilation partielle avec nasillement) dans un seul cadre ; celui de (lieu d'Assimilation), parce qu'il les réunit, à l'origine, la même règle phonique, et ce qui provient des anciens dans leur traitement du [n] (nün es-sakina) en lui attribuant trois règles spécifiques différentes l'une de l'autre, ne convient pas avec la réalité phonique et à ce qui se passe au (nün es-sakina) dans sa pré-contigüité des consonnes de l'avant de la bouche .

Ce qui a été confirmé par de nombreuses études phoniques et phonologiques modernes indiquent que ce qui se passe à (nün es-sakina) avec les quinze consonnes de la Latence, en outre parfois (al-ghain et el al-khãa), et ce qui lui arrive avec la consonne de la Substitution [b] (al-bãa), et ce qui lui arrive aussi lors de son assimilation avec nasillement avant les approximantes (Al-wãw et Al-yãa), présente la même chose et ne peut dépasser le fait de l'assimilation du Nün au lieus d'articulations de ses consonnes réunies, ou bien c'est une opération phonique dont son début est la Nasalisation (Al-ghonnah) restante du Nün, et sa fin est la consonne orale suivante, et ainsi, il n'y a aucune raison

d'adopter des appellations différentes pour le même processus phonologique.

1 : **صامِت النّون والمماثلَة المخْرجيّـة :**

الشّائـع في الدّراسات الصّوتيّة القديمـة ، سواءً تلك المعروفة عنـد اللّغويين أوْ عند علماء القراءات والتّجويـد ، أنّ النّون السّاكنة تتنازعهـا مجموعةٌ من الأحكام بحسب طبيعة الصّوامت التي تشكّل معها نفس العنقـود الصّوتيّ ، وهي تلك المشهـورة باصْطلاحات : الإظْهار ، الإخْفاء ، القلْب ، والإدْغام بغنّة وبلا غنّة .

وإذا كانتْ الطّرفيّات هي الفصيلة الصّوتيّة الأكثر تردّداً في كـلّ كلام ، وأنّها تشكّل الجزء الأكبر منْ الأصوات في معظم لغات العالم ، فإنّها تتعرّض أكثر منْ غيرها ، في سياقاتها المختلفة ، لشتّى أنواع التّأثّر والتّأثير ، وتوفّر مجالاً مناسباً لحصول سيرورة المماثلة الصّوتيّة .

إنّ النّون بوصفها صامتاً طرفيّاً ، تشكّل الحلقة المركزيّة في كلّ ذلك ، فإنّه يصيبها في اللّغة العربيّة منْ أنـواع التّأثّر بما يأْتلف معها من الصّوامـــت ما لا يصيب غيرها ، سواءً كانـــت تلك الصّوامت طرفيّةً أوْ غير طرفيّة ، أنفيّةً أوْ غير أنفيّة ، إذْ نجدها تتعـرّض للإقلاب مع " الباء " ؛ الشّفهيّ غير الأنفيّ المجهـور ، والإخفاء عند أصـوات الفمّ الحاجزيّـة [1] الخمسة عشـــــر (الفاء ، التّاء ، الثّاء ، الجيم ، الدّال ، الذّال ، السّين ، الشّين ، الطّاء ، الضّاد ، الصّاد ، الظّاء ، الزاي ، القاف ، الكاف) [2] وأحياناً عند (الغين ، وَ الخاء) كذلك لخصوصيتهما الفونيتيكيّة في اللّغة العربيّة ، إذْ يشكّل تموضعهما في أعلى الحلْـق ، منطقةً بيْنيّةً بين الحلقيّـات والظّهريّات ، فلا هما حلْقيّان تمامـاً ، ولا همـا ظهريّـان ، وإنّما هما حالـةٌ بين هذا وذاك ، والإدغـــــــام بغنّة وبغير غنّة في المجموعـة الصّوتيّة (يرملـون) ، والإظهـار عند أصـــوات الحلق السّتة (الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء) .

فكيف عالج القدماء هذه الظّواهر التي تعْترض النّـون في السّلسلة الكلاميّة ؟

إذا ما استثنينا أصوات الحلق السّتة (ء ، هـ ، ح ، ع ، خ ، غ) التي تُظهَر عندها النّون [3] ، بمعنى أنّهـا تحافظ عندها على موضعهـا الطّرفيّ ، نظـراً للبعد المخرجيّ الذي يفصل ما بين النّون وأصـوات الحلق الذي لا يسمـح بالتّأثير ، فإنّ علاقتها بمعظم ما تبقّى من الصّوامت يحكمها مسار الإخْفاء .

فالنّون تخفـى عند مجاورتها لخمسة عشـر صامتاً منْ صوامـت الفمّ ، وقد خُصّتْ بالإخفاء عندها ، حسب تعليل القدامـــى ، لأنّها لم تقْـرُب من النّون قـــــرْب (اللّام ، والرّاء ، والميم) مثلاً فتُدغـم فيهـا ، ولا من (الباء) فتقْلـب إليهـا ، ولم تَبْعُـد عنهـا بعد أصـوات الحلْـق فتُظهـر معهـا . يقـول ابن الجـزري : « وذلك أنّ النّـون والتّنويـن لم يقربـا منْ هـذه الحـروف كقربهمـا منْ حروف الإدغام فيجـب إدغامهمـا فيهـنّ منْ أجل القـرب ، ولم يبْعـدا منهـنّ كبعدهمـا منْ حروف الإظهـار فيجب إظهارهما عندهـنّ منْ أجل البعد ، فلمّا عـدم القرب الموجب للإدغـام ، والبعد الموجـب للإظهار ، أُخْفيا عندهـنّ فصارا لا مُدغمين ولا مُظهريـن ، إلاّ أنّ إخفاءهما على قـدر قربهمـا منهنّ وبعدهما عنهنّ ، فما قرُبـا منه كانا عنده أخفـى ممّـا بعُـدا عنـــه . » [4]

يقدّم الدّاني التّبرير الصّوتيّ المناسب لحقيقة إخفاء النّون النّطقيّة عنـد صوامت الفمّ ، فيقول : « يتمّ إسقاط وَحذف أوْ إبطال النّطق الفمويّ أيْ إسكات العمل الفمويّ مع النّون والذي به يتحقّق ويتحصّل جسدها وأصل بنيتها وذلك دون تعويضٍ عنه بإطالـة زمن النّطق بالحرف التّالي ، ولكن يُؤتـى بصوتٍ من الخياشيم منطوقاً به بين يديْ ذلك الحـرف التّالي . ففـي هذه الحالة يَبْطُل العمل الفمـويّ الذي يحدث مع النّون وتبقى غنّةً يتفاوت كمّها أوْ زمنها على قدر درجة قـرب ذلك الحرف التّالي منها أوْ بعده عنها ، فالأبعد زمنُ الغنّة معه أطْول ، أيْ يكون معه خفاءً قليلاً للنّون لا خفاءً كثيراً ، وسبب الإخفاء ، في هذا الموضع ، هو أنّ العلاقة الصّوتيّة للنّون بهذه الأحـرف التي تليها بين بين ، فلا هي شديدة التّبايـن والتّباعـد كما في حالـة الإظْهـار ، ولا هـي شديـدة التّقارب

كمـا في حالة الإدْغـــــام . » [5]

هذا يشيـر إلى أنّ مخـرج النّون الطّرفيّ ، مع أصـوات الإخفـاء المذكورة ، يُطـرَح أوْ يحذف ، وتبقى غنّتها بلا اعتماد في الفمّ مُلْحقةً بهذه الأصوات ، وهو ما يؤكّده القيسي عندما قـال : « فإذا أخفيتهـا عند ما بعدها ، صار مخرجها من الخياشيم لا غير ، فتذهب النّون عند الإخفاء ، وتبقى الغنّة من الخياشيـم ظاهرةً . » [6] وَ هي نفـس الفكرة التي يطرحها ابن عصفور ، يقول : « والنّون السّاكنة الخفيّة مخرجها من الخيشوم ، فلا علاج في إخراجها ولا اعتماد . » [7]

فالنّون المخفاة ، على هذا الأساس ، وكما هو واضحٌ منْ نصوص القدامى ، تفقد مخرجها الطّرفيّ مع صوامت الفمّ دون أنْ تعتمد أيّ موضع نطقٍ بعد ذلك ، وما تبقّى منها وهو أنفيتها العائمة ، فتُلحق بالصّامت الموالي الذي يبقى زمن النّطق به كما كان في أصل وضعـه « أيْ يبقى مُخفّفاً دون أنْ يطـول أوْ يمتدّ زمنه ، وكلّ ما حدث هو أنّـه يُنْطق بين يديْـه بغنّـة . » [8]

وللنّون علاقةٌ خاصّةٌ بصامت " الباء " في نظر القدماء نحاةً ولغويين وعلماء تجويد ، وقد ميّزوها في سيرورتها هذه بمصطلحٍ خاصّ هو الإقلاب أوْ القلب ويكون « عند حرفٍ واحدٍ هو الباء ، فإنّ النّون السّاكنة والتّنوين ، يُقلبان عندها ميماً خالصةً منْ غير إدغام ، وذلك نحو (أنْبِئْهُم) ... » [9]

وقد علّلـوا قلبها ميماً عند الباء ، بقولهم أنّ الميم بغنّتها تشبـه النّون ، وبمخرجهـا تشبه الباء ، ولمّا لم يحصـل إدغام النّون في الباء ، وتعـذّر إظهـار غنّتها قبلها ، قُلبتْ النّون صامتاً جامعاً يوافق النّون في غنّتها والباء في شفويتها وهو الميم بحثاً عنْ التّجانس الصّوتيّ والاقتصاد في النّطق بين النّون وَ الباء التي بعدها ، يقول القيسي : « والعلّة في إبْدال النّون السّاكنة والتّنوين ميماً عند الباء ، أنّ الميـم مؤاخيةٌ للباء ، لأنّها منْ مخرجها ، ومشاركةٌ لها في الجهر والشّدّة . وهي أيضاً مؤاخيةٌ للنّون في الغنّة والجهر ، فلمّا وقعتْ النّون قبل الباء ، ولم يكن إدغامها فيها لبُعد المخرجين ، ولا أنْ تكون ظاهرةً لشبهها بأُخْت الباء وهي الميم ، أُبْدلت لمؤاخاتها النّون وَ الباء . » [10]

أمّا حال مجـاورة النّـون الاستباقيّـة للمقاربين الواو وَ الياء ، فقـد ذهب بعض السّلـف إلى أنّها تدغم عندهما إدغاماً ناقصاً تبقى معه غنّتهـا فلا يجْحـف بها ، فهي ، أي الغنّـة ، فضْـلُ صـوتٍ يجـب المحافظـة عليـه معهمـا كما جـاء عـن ابن عصفـور.[11] ويقـول الاسترابادي : « وإذا كان المدغـم فيـه واواً أوْ ياءً ، فالأوْلى الغنّـة لوجهين ؛ أحدهمـا أنّ مقاربـة النّـون إياهما بالصّفـة لا بالمخـرج ، فالأوْلى أنْ لا يُغتفـر ذهاب فضيلـة النّـون ، أيْ الغنّة رأساً لمثل هذا القرب غير الكامل ، بلْ ينْبغي أنْ تكـون للنّون معهما حالةٌ بين الإخفاء وَالإدغـام ، وهي الحالة التي فـوْق الإخْفاء ودون الإدْغـام التّامّ ، فيبْقـى شـيء من الغنّـــة . » [12]

يظهر منْ كلام الاسترابادي أنّ إذهاب الغنّة أوْ إبقاءها مرتبطٌ بدرجة التّقارب في المخرج ، فكلّما كان قرب النّون مخرجيّاً ممّا تدغم فيه أشدّ ، كلّما كان الإدْغام كاملاً ، وكلّما اِبتعد مخرجها عنْ مخـرج تلك الأصوات ، كلّما كان إدغامها فيهـا ناقصاً ، تبقـى معه غنّة النّون . يقول ابن الجزْري : « الإدغام بغنّة في الواو والياء ... هو إدغامٌ غير كاملٍ منْ أجل الغنّة الباقية معه ... وقال بعـــــض أئمّتنا إنّما هـو إخفاء ، وإطلاق الإدغام عليـه مجاز ، وممّن ذهـــب إلى هذا أبوا الحسن السّخاوي فقال : واعلـــمْ أنّ حقيقة ذلك إخفاءٌ لا إدغام ، وإنّما يقولون له إدغـــام مجازاً . » [13]

يشير السّخاوي أنْ لا فـرق بين الواقع الصّوتيّ للإدغام بغنّة وحقيقة الإخْفاء ، فهما مُسَمَّيان مختلِفان لنفس السّيرورة ، وهـــو ما يدعّم ما نذهب إليـه في بحثنا هذا منْ اعتبار الإخْفـاء والإقــلاب والإدغـام بغنّـة ، تسْميّـاتٌ مختلفـةٌ لمسـارٍ فونولوجـيٍّ واحـدٍ هـو مماثلَة المَوْضـــع .

نجد للقيسي في الكشـف نصّاً يتعرّض فيه للإدغام بغنّة نلمس فيه مفهوم المماثلة المخرجيّة للنّون عند

مجاورتها المتقدّمة للواو أوْ الياء ، يقـول فيـه : « فحرف الغنّة له مخرجان ، فـإذا أدغمتـه ، أدْغمـت مـا يخـرج من الفـمّ منـه ، وأبْقيـتَ ما يخـرج مـن الخياشيـم ظاهــراً . » [14]

فبعدما يشير إلى المخرج المزدوج / المركّب للنّون ؛ فمويّ وَ أنفيّ ، يثبـت أنّ الإدغام بغنّة هو مماثلةٌ تحصـل بين موضع النّون الفمويّ ، وموضع الصّامت بعدها ، دون أنْ يتأثّر نطقها الأنفـــيّ .

تلك كانتْ معالجـــــة القدماء للظّواهر الثّلاث التي تعْترض النّون السّاكنة في السّلسلة الكلاميّة والتي سموْهـا بالإخْفاء ، والإقْلاب ، وَ الإدْغام بغنّـة . لكنْ هـل فعـلاً تتعـرّض النّون ، في الكلام المتّصل ، لظواهر ثلاثٍ تختلف إحداها عنْ بقيّتها ؟

نعـالج الآن ، الظّواهـر الصّوتيّة الثّلاث (الإخْفاء ، والإقْلاب ، والإدْغام بغنّة) في إطارٍ واحـدٍ ، هو إطـار المماثلة المخرجيّة ، لأنّـه يجمعها حكمٌ نطقيٌّ واحدٌ في الأصل ، وما ورد عن القدامى في معالجتهم للنّون السّاكنة وتخصيصها بأحكام ثلاثةٍ يختلف أحدهـا عن الآخر ، لا يوافق الواقع الصّوتيّ الحقيقيّ لما يحصل فعلاً للنّون عند مجاورتها الاستباقيّة لصوامت الفمّ ، فإنّنا نعتبر ما يحصـل للنّون مع صوامت الإخفاء الخمسة عشـر بالإضافـة أحياناً إلى (الغين ، والخاء) ، وما يحصـل لها مع صامت الإقلاب " الباء " ، وما يحصل لها كذلك حين إدغامها بغنّة عند المقاربين (الواو ، وَ الياء) ، هو شيءٌ واحدٌ لا يتعدّى كونه مماثلة النّون لمواضع Place assimilation هذه الصّوامت مجتمعةً .

إنّ ما أكّدتـه الدّراسـات الصّوتيّة والفونولوجيّة الحديثـة ، أنّ النّون السّاكنـة عند مجاورتها القبليّة لأصـوات الفمّ من غير تلك التي تُدغم فيهـا إدغاماً كاملاً ، وهي الصّوامـت الخمسة عشـر التي أخفاها عندها القدمـاء ، بالإضافة إلى المقاربين ؛ الواو ، والياء ، اللّذين أدغماهما فيها إدغاماً ناقصاً بغنّـــة ، ينْتقـل موضع اعتمادها فيها منْ طـرف اللّسان إلى موضع الصّامت الفمـويّ الموالي ، في عمليّةٍ نطقيّةٍ موحَّدةٍ بدايتها الغنّة المتبقّية من النّون النّاتجة عنْ وضعين متتاليين : [15]

أ _ وضع الحنك الرّخـو المتدلّي .
ب _ جريان الهواء الأنفـــــــي .

ونهايتها الصّامت الفمـويّ الموالي ، فتُشكِّـل معه قطعةً مركّبةً جديـدةً مكوّنةً من نطقين متزامنين أوّلهما رئيسـيّ ؛ هو النّطق الحاصل بالصّامت الفمـويّ التّالي لها ، وثانيهما ثانويّ هو الصّـوت الخيشـوميّ الملحـق به . وبذلك تكون الصّوامـت الفمويّة المقصـودة ، بهذا الشّكل ، متضمّنةً لعضوين ناطقين هما : الحنك الرّخو + العضو الفموي .
وفي حالـة المقاربين (الواو وَ الياء) ، إذا اعتبرناهمـا قطعتيـن مركّبتين خـارج هذا المسـار ، فإنّهمـا ، في مماثلة النّون لهما موضعيّاً ، سيتضمّنان ثلاثة أعضـاء ناطقـة هي : (الحنك الرّخـو + العضو ظهري + العضو شفـوي) بالنّسبـة للواو ، (والحنك الرّخـو + العضو ظهري + العضو طرفي) بالنّسبة لليـــاء .

أمّا ما ذكـره القدماء بخصـوص اِقْتصار مماثلـة النّـون للمقاربيـن (الواو وَ الياء) على الكلمتيـــن [16] وامتناعهـا داخل مجال الكلمة الواحدة خشية الالتباس ، نقول أنّ مماثلة النّون موضعيّـاً للواو أوْ الياء في مثل (صِنْوان ، قِنْوان ، دُنْيا ، بُنْيان ...) [17] ليـس بإمكانهـا خرق القيد المانع للالتباس بين الأبْنية [18] ، مادامـتْ هذه المماثلة لم ترْق إلى المماثلـة التّامّة التي يتبعها الإدغام الذي تغيب معه هويّة الصّامت الأوّل تماماً ، لأنّ بقـاء الأنفيّة التي تدلّ على النّون في مثـل هذه المماثلة ، تمنع الالتبـاس ، وعلى ذلك فالمماثلة المخرجيّـة بين النّون والمقاربين على مستـوى الكلمة الواحدة ، لا يوجد مانعٌ منْ تحقّقهـا ، يقول الدّاني : « وأمّا الياء وَ الواو ، فيُدْغمان فيهما [أيْ النّون والتّنوين] وتبقى غنّتهما ، هذا مذهـب الجماعة من القرّاء غير حمزة فإنّـه اختلف عنه في ذلك ، وإذا بقيـتْ غنّتهما ، لم ينقلبا قلباً صحيحاً ولا يُدغمـان إدغامـاً تامّـاً ، وإنّمـا يتمكّـن ذلك فيهمـا إذا ذهبـتْ تلك الغنّـة بالقلـب

الصّحيح . » [19]

يمكن القـول ، إنّ مماثلة منْ هذا النّـوع ، تفقد فيها القطعة الأنفيّة الطّرفيّة موضع نطقها الطّرفيّ ، لتكتسـب تخصيصاً موضعيّاً جديداً منْ خلال امتـداد موضع نطق الصّامت الفمويّ الذي يليها ، فينتج عنه أنفيٌّ منْ موضع هذا الصّامت .

ما حصل مع ظاهرة الإخفاء وَ الإدغام بغنّة بخصوص النّون ، هو ذاته الذي يحصل مع ظاهرة الإقلاب ، فإنّها تخضع لنفس السّيرورة الفونولوجيّة .

وهكذا تكـون القطعـة الأنفيّة طرفيّةً مـع الطّرفيّات فتخـرُج مثلاً مـع السّين مـن مخـرج السّين ، ومع الضّاد منْ مخـرج الضّاد وهكذا ، وشفويّةً مع الشّفوي ، وظهريّةً مـع الظّهريّـــات .[20]

وعلـى هذا الأسـاس ، اعتبرنـا ظواهـر الإخْفاء ، و الإقلاب ، و الإدغـام بغنّة ، سيرورةً واحدةً هي مماثلة الموضع أوْ مماثلة مخرجيّة Place assimilation ، فليس هناك مـا يدعو لاعتماد تسمياتٍ مختلفةٍ لنفس السّيرورة الفونولوجيّة .

1 - 1 : اِمتداد مَواضِع النّطق الفَمويّة إلى النّـــون :

(1)

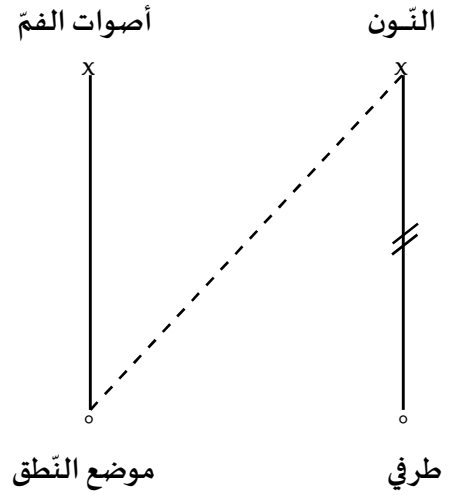

يعكس هذا التّمثيـل ، اِكتساب النّون موضـع نطقٍ جديدٍ يمتدّ إليها من الصّامـت الفمويّ الموالي لها مباشرة في التّأليف ، ويُفكّ رِبْطها بموضعها الأصليّ .[21]

فإذا كان القدمـاء قدْ وصفوا سيرورة النّون المجـاورة للباء قبليّاً بأنّها مجرّد عمليّة قلبٍ للنّون ميماً خالصـةً وَ إخفائها عند الباء ، فإنّ الواقـع غير ذلك ، فليس هناك قلـبٌ يخصّ النّون ، فتتحوّل إلى " ميم " أثناء مجاورتها القبليّة للباء ، وإنّما الحاصل في هذه السيرورة ، هو مماثلة النّون في نطقها الطّرفيّ لموضع نطق " الباء " ، فأصبحت والحال هذه شفويةً مثلها ، بقيتْ غنّتها فأُلحقـتْ بالباء في تحقيقٍ فونيتيكيٍّ واحـد ، بدايته غنّة ونهايته باء ، وهي نفس العمليّة التي يؤدّيهـا الجهاز النّطقيّ عند تحقيـق الميم ، مع فارقٍ بسيط ، هو أنّ الحنَك الرّخْو يستعلي مباشرةً بعد تحقيق الغنّة ليغلق المنفذ الأنفيّ حتّى يسمح بنطق الباء ، فتكون النّتيجة هي صوتٌ مركّبٌ جديدٌ (غنّة + باء) .

ومنه فلا يوجد ما يسمّى قلب النّون ميماً وإخفاؤها عند الباء ، وإنّما هو مماثلة النّون لموضع نطق الباء مع إلحاق الغنّة بالكيان الصّوتيّ للباء ، فيصبح النّطق الجديد للباء المؤنّفة مركّباً منْ نطقين متزامنيين ؛ أوّلهما ثانويّ هو الصّوت الخيشوميّ / الغنّة ، وثانيهما رئيسيّ هو الصّامت الشّفويّ " الباء " ، وهي نفس العمليّة النّطقيّة التي سجلناها وحصلتْ مع ما سمّاه القدماء إخفاءً وَ إدغاماً بغنّة .

لكنْ لماذا اقتصر التّأثير بين صوامت الفمّ وَ النّون على المماثلة المخرجيّة ولم يصل إلى المماثلة التّامّة المتبوعة بالإدغام والإنصهار التّامّ كما حصل مع الطرفيّات (الميم ، وَ الرّاء ، واللّام) ، على اعتبار أنّه في المماثلة المخرجيّة يحتفظ الصّامت الفمويّ بملمح الأنفيّة ، فلا يسمح ذلك باعتمادٍ واحدٍ للقطعة الجديدة المؤنّفة قبليّاً Prénasalisée ؟ [22]

1 - 2 : المماثلة المخْرجيّة بَين النّون وأصْوات الفمّ الخمْسَة عَشَر :

إذا كانتْ النّون تربطها العلاقة المخرجيّة بأصوات الفمّ الطّرفيّة التي تدفعها إلى مماثلتها في سياق مجاورتها القبليّة اللّصيقة لها ، إلاّ أنّ النّون لم تماثل هذه الصّوامت المجانسة المجاورة لها مجاورةً بعديّة ، مماثلةً تامّةً تنتهي بالصّهر والإدغام ، كما هو حاصل مع الرّنينيْن (اللّام ، وَالرّاء) ، نظراً للفارق الملمحيّ الذي يفصلها عنها ، فتخصيصها بملمح التّضييق [رنيني] ، منعها من التّماثل الكلّي معها ، وبعبارة أخرى ، فإنّ فاعلية (م م إ) / [الموضع] [23] ، حين التّأليف بين النّون وهذه الطّرفيّات ، في الكلام المتّصل ، تضعُف لمّا لم يصاحب التّماثل العضوي ، تماثل في تخصيص ملمح التّضييق [رنيني] .

ولم تماثل النّون الصّوامت الفمويّة الظّهريّة الأخرى ؛ الكاف ، وَ الجيم ، والقاف ، والمقاربين ؛ الواو ، وَ الياء ، والشّفتاني " الباء " ، مماثلة تامّةً تنتهي بالصّهر ، لاختلافها عنها في المخرج ، حيث يكون (م م إ) / [الموضع] عديم الفاعلية عندها . يقول الاسترابادي بخصوص هذه النّقطة : « وإنْ لم يكن هناك قربٌ لا في المخرج ولا في الصّفة ، أُخْفي النّون بقلّة الاعتماد ، وذلك بأنْ يقتصر على أحد مخرجيْه ، ولا يمكن أنْ يكون ذلك إلاّ من الخيشوم . » [24]

وقبل أن نعرض عيّنة نموذجيّة للمماثلة المخرجيّة بين النّون وأصوات الفمّ حيث نُقْصرها على ما ورد منها في حدود الكلمة الواحدة ، لابأس أن نعرّف بنظرية المفاضلة (Optimality theory) ونعرض الآليات التي تشتغل بها كونها الإطار النّظري الذي نعالج ضمنه سيرورة النون الفونولوجية :

بداية نشير إلى أنّنا نتبنّى في طرحنا هنا ، مبادئ وقيود نظرية المفاضلة Optimality Theory المُبلورة في Prince & Smolensky (1993) وَ McCarthy & Prince (1993) وَ Kager (1999) ، والفكرة المركزيّة التي تقوم عليها نظريّة المفاضلة ، أنّ نحوها غير الاشتقاقيّ وغير التّمثيليّ الذي لا يعترف بالعمليات المُبلورة على شكل قواعد مرتّبة خطّياً على نحوٍ ما ، جهازٌ لتفاعل قيودٍ Constraints من سماتها أنّها كونية Universal ، لكنّها قابلة للخرق والانتهاك .

وهي الفكرة التي من شأنها أن تجسّد جوهر الاختلاف بين معالجةٍ تؤطّرها نظريّة المفاضلة ، وأخرى تؤطّرها النّظريّة الاشتقاقيّة Theory Dirivational ، ذلك أنّ التّعبير عن التّفاعل ، في النّماذج الاشتقاقيّة ، يتمّ من خلال التّرتيب الخطّيّ لقواعد إعادة الكتابة Rewrite rules ، بينما يتمّ ، في نظريّة المفاضلة ، عن طريق التّرتيب الهَرَميّ للقيود الكونية القابلة للانتهاك بصورةٍ أدنوية [25] Minimal .

ومن أهمّ المقوّمات التي يرتكز عليها نحو نظريّة المفاضلة لتأدية وظيفته المركزيّة المشار إليها أعلاه ، والتي تكرّس اِفتراقه عن أنحاء النّظريات الاشتقاقية ، ما نحدّده في النّقاط الثّلاث التّالية :

_ المولّد Generator :

يقوم بوظيفة توليد وإنتاج مجموعةٍ لا نهائيّةٍ من الخروج Outputs والتّمثيلات المرشّحة الممكنة والمنطقيّة المرتبطة بدخلٍ مُعْطى ، دون أدنى قيدٍ أو شرط (بكلّ حرّية) .

_ القيود Constraints :

قائمـةٌ من المطالب اللّغوية الكونيّة القابلـة للانتهاك والمتفاعلة فيمـا بينها [26] وِفْق هرميةٍ صارمةٍ ترْعى السّلامة البنيويّة Well-Formedness للخـروج المرشّحة التي ليس بإمكانها موافقتها دائماً [27] ، لكنّ تنظيمهـا يكون بحَسَب كلّ لغةٍ على حدة ، ذلك أنّ نحـو لغة معيّنة يُنظر إليـه على أسـاس أنّه ترتيبٌ خاصٌ للقيـود الكونية من شأنـه أن يفسّر درجـات الاختلاف بين اللّغـات .

ولم تكـنْ القيـود متفاعلـةً في نظريّـة المفاضلـة ، إلاّ بعدمـا كانتْ عبـارةً عن مجموعـةٍ من القـوى المتضـادّة يحرّكها نوعـان من القيـود ، همـا قيـود الموسومية Markedness Constraints ؛ التي تحـاول مراقبـة سلامـة الخـروج المرشّحـة بنيويّاً ، وقيود المحافظة Faithfulness Constraints التي تَسْتوجـب تماثلاً جزئيّاً أوْ تامّاً بين بُنية الدّخل Input وبُنيـة الخـرج Output .

_ المقوّم Evaluator :

يقـوم على ترشيـد التّحاليل المرشّحة وتقويمها بالنّظـر إلى درجاتها التّلاؤميـة مع نَسَـق القيـود الكونيّة لاختيـار أنسبها كخـرجٍ أفضـل .[28] فالخـرج الأفضـل على هذا الأسـاس ، هو الذي ينْضبـط للقيـود الأعلـى ترتيباً في الهرميـة ، وإنْ كان قـد يتعـرّض بالخـرق أحياناً للقيـود الأدنـى ترتيبـاً ، لأنّ نظريّـة المفاضلة لا تعتـرف بوجـود أنسـاقٍ نحويّةٍ مثاليّةٍ تستجيـب لجميـع القيـود .

يُميَّز الخرج الأفْضـل ، عنْ باقـي القيود المرشّحة الأخـرى ، بإشارة أصبعٍ (☚) ، بينما يُرمـز للقيد المنتهَك بنجمـة (*) ، وبالانتهاك القاتِل والحاسِم بعلامة تعجّب (!) .

تُدرَج هذه العلامـات في مكانها المناسـب على مستوى خانات الجَـدول المحتضِـن للخروج المرشّحة التي تتتـالى عموديّاً في يمينه بالنّسبة للّغة العربية ، والمحتضِـن كذلك للقيود المرتّبة أُفقيّاً وفـق علاقة الاحتـواء بينها في خاناته العُليا ، بحيـث يسبق الأقوى فالذي يليه وهكـذا ، أمّا خانـات جدول المفاضلة البيضاء فهي علامـة على إرضاء القيود ، بينما تمثّل الخانات المظلّلة عدم فاعلية قيودها في حسم المفاضلة .[29]

والواضح من خلال ما سردنـاه ، أنّ الاهتمام في نظريّة المفاضلة ليس موجّهاً للبحث في طبيعة العمليات الاشتقاقية التي تربط الدّخـل بالخرج ، ولا في أساليب التّمثيـل للعلاقة بين الدّخل والخرج ، بقدر ما هو موجّهٌ تحديداً نحو تقويم الخروج المُمْكنة لاختيار الخرج الأفضل الذي ينتهك القيود المُهيْمنة انتهاكاً أدنوياً .[30]

العيّنـــة :

(2)

التّمْثيل الفونولوجِيّ	التّمْثيل الفونيتيكيّ
_ / اِنْوجَل /	_ [اِ ~ وجل] [31]
_ / عَنْبَر /	_ [عـ ~ ـبر]
_ / أُنْظُر /	_ [أُ ~ ظر]
_ / مُنْذِر /	_ [مُـ ~ ـذِر]

_ / أنْصار /	_ [أ ~ صار]
_ / اِنْطباع /	_ [اِ ~ طباع]
_ / مُنْقلب /	_ [مُـ~ـقلب]
_ / مُنْكر /	_ [مُـ ~ ـكر]
_ / مُنْخل /	_ [مُـ ~ ـخل]
_ / اِنْغَمس /	_ [اِ ~ غمس]

في هذه العيّنة الدّالة ، ماثلتْ النّون الصّوامت الواردة بعدها مباشرةً مخرجيّاً ، فانتقل موضع نطقها الطّرفيّ إلى موضع الصّامت الموالي في مسارٍ فونولوجيٍّ واحدٍ لا يختلف فيه الإخْفاء عن الإقْلاب والإدْغام بغنّة ، ينتظمه تنازع قيديْ الموسوميّة والمحافظة التّاليين :

قيد الموسوميّة :

(3) * أن طر / موضع أص [32]

لا يجب أنْ يخصّص الصّامت الأنفيّ الطّرفيّ منْ موضعه الأصليّ عند توارده مع أصوات الفمّ .

قيْد المحافَظَة :

(4) مح د _ خ / أن طر موضع أص [32]

يجب المحافظة على هويّة النّون المخرجيّة في الخروج كما كانتْ عليه في الدّخل .

وحتّى تحصل المماثلة المخرجيّة بين النّون والصّوامت الفمويّة ويتحوّل موضع نطقها إلى مواضع تلك الأصوات المجاورة لها مجاورةً لصيقة ، يجب أنْ يتحكّم قيد الموسوميّة **(3)** في الهرميّة ، وبالتّالي يبْسط سلطانه على قيد المحافظة **(4)** .

1 - 3 : الهَرميّة المتحكّمة في سَيْرورَة مُماثلة النّون لأصْوات الفمّ مخرجِيّاً :

(5)

* أن طر / موضع أص » مح د _ خ / أن طر موضع أص

تمثل هذه الهرميّة ، واقع التّنازع المخرجيّ بين الأصوات الفمويّة وصوت النّون المجاورة قبليّاً ، الذي تفقد فيه النّون مخرجها لصالح مخارج الأصوات الفمويّة المجاورة بعديّاً ، ولوْ تغيّر التّرتيب وساد قيد المحافظة ،لم تحصل المماثلة ، ولاحتفظتْ النّون بمخرجها الخاصّ . والجدول التّالي منْ شأنه أنْ يبيّن التّغيُّر الحاصل .

1 - 4 : وَجْه المفاضَلة بيْن مُماثلة النّون للفَمويّات أوْ مُحافَظتِها :

(6)

الدّخل : / عنْبر /		(3)	(4)
1	عنْبر	*!	
2	☚ عَـ~ـبر		*

الدّخـل : / اِنْوجل /			
3	☚ اِ ~ وجل		*
4	اِنْوجــل	*!	
الدّخـل : / أُنْظــر/			
5	☚ أُ ~ ظــر		*
6	أُنْظـــــر	*!	
الدّخـل : / أنْصار/			
7	☚ أ ~ صار		*
8	أنْصـــار	*!	
الدّخـل : / منْقلب /			
9	منْـــقلب	*!	
10	☚ مـ~ـقلب		*
الدّخـل : / مُنْكر /			
11	مُنْـــكر	*!	
12	☚ مُـ~ـكر		*
الدّخـل : / منْخل /			
13	☚ مُـ~ـخل		*
14	مُنْخـــل	*!	

يتّضح من الجدول **(6)** ، أنّ الخروج الفُضْلى كانتْ تلك التي امتثلتْ لقيد الموسوميّة باعتباره القيد الأعلى ترتيباً والمتحكّم في الهرميّة ، وبالتّالي فقد عكستْ وجـه المماثلة المخرجيّة بين النّـون والصّوامت الفمويّة التي سُرِّبـتْ لها عنْ طريـق الامتداد ، فتخلّتْ النّون والحالة هذه عنْ موضعها الطّرفيّ الأصليّ لصالح المواضـع الجديدة ، لتخـرُجَ مع الشّفويّ منْ موضعه الشّفويّ ، ومع الظّهريّـــات من مواضعها الظّهريّة ، ومع الطّرفيّات منْ مواضعها الطّرفيّة ، وتصبـح الصّوامـت الفمويّة في حُلّتها الجديـــــدة هذه قِطَعـاً صوتيّةً نطاقيّةً Contour مؤنّفـةً قبليّـاً [33] مركّبةً منْ نطقين متزامنين ؛ أوّلهما ثانـويّ هو الصوت الأنفـيّ المعتمَد لـه في مواضع الصّوامت الفمويّة ، وثانيهما رئيسيّ هو حقيقة الصّامت الفمويّ الفونيتيكيّة .

ومماثلة النّون مخرجيّاً للصّوامـت الفمويّة ليستْ مقصـورةً على العربيّة ، ففي كثيرٍ من اللّغـات يحصل أنْ تمتدّ فيها مواضـع نطق الفمويّات إلى النّـون فتماثلها مخرجيّاً ، ففـي الإنجليزيّة مثلاً ، تماثـل / n / الطّرفيّة موضعيّاً نطـق الـ / k / فتصبح أكثـر خلفيّةً ، تقـول صاحبتا أساسيّات علْـــم الكلام : « وتمتدّ سمـــــة الموْقع الخلفيّ السّنخيّ إلى / n / السّنخيّة عادةً في / Think / لتصبـح [Θiŋk] ، ومن ثمّ يتشابـه الأنفيّ مع مكان نطـق

الـ [k] الأكثر تراجعاً أوْ خلفيّةً ... تمثّل حالة [Θiŋk] مثالاً للمماثلة التّوقّعيّة ، لأنّ [n] قد تحوّلتْ إلى [ŋ] توقّعاً للصّـــوت [34] [k] . »

الهوامـــش والإحالات :

(1) في مقابل الصوامـــــــــــــــــــــــت الجهيرة التي هي (م ، ن ، ل ، ر) .
(2) ينظر : النّشر في القـــــــــــــــــــــــراءات العشر ، 2 / 21 .
(3) ينظر : التّحديد في الاتقان والتّجويـــــــــــــــــــــــد ، الدّاني ، ص : 113 .
(4) النّشر ، 2 / 21 ، وينظـر : التّحديد في الاتقان والتّسديد في صنعة التّجويـد ، ص : 245 .
(5) التّحديـد في الاتقان والتّسديـــد في صنعة التّجويـــد ، ص : 127-126 ، يقارن بتعليل القيسي للإخْفاء ، الرّعايـــة ، ص : 241 .
(6) الرّعايـــــــــــــــــــــــــــــة ، ص : 241 .
(7) الممتع في التّصريـــــــــــــــــــــــــف ، 2 / 699 .
(8) التّحديد في الاتقان والتّسديد في صنعة التّجويـد ، الدّاني ، ص : 127 .
(9) النّشر في القـــــــــــــــــــــــراءات العشر ، 2 / 21 .
(10) الرّعايـــــــــــــــــــــــــــــة ، ص : 240 .
(11) ينظر : الممتـــــــــــــــــــــــع في التّصريـف ، 2 / 696 .
(12) شرح الشّافيّـــــــــــــــــــــــــــة ، 3 / 273 .
(13) النّشر في القراءات العشـــــــــــــــــــــــر ، 2 / 22 .
(14) الكشف عنْ وجوه القـــــــــــراءات السّبع وعللها وَحججها ، 1 / 164 .
(15) See : Piggott . (1992), P . 39 - 40 .
(16) ينظر : التّحديد في الاتقان والتّسديد في صنعة التّجويد ، ص : 126-125 .
(17) ينظر : النّشر في القـــــــــــــــــــــــراءات العشر ، 2 /20 .
(18) * الت
إذا أوقع إجراء الامتداد ، فكّ الرّبط ، ثمّ الصّهـر في لبْس ، بطلَ مفعوله .
(19) التّحديد في الاتقان والتّسديد في صنعة التّجويـــــد ، ص : 240-239 .
(20) See : McCarthy (1988) ; P . 85 and : Pulleyblank (1997) ; P . 62 - 67 .
(21) See : Clements (1989) ; P . 9 – 10 .
(22) Voir : El Medlaoui , M (1995) ; P . 98 .
(23) (م م إ) / [الموضع]
يحظر كلّ تجاورٍ لأيّ صامتين يتّفقان في موضع النّطــق .
(24) شرح الشّافيّـــــــــــــــــــــــــة ، 3 / 272 .
(25) See : Kager (1999) , P : 12 .
(26) See : Prince & Smolensky (1993) , P : 26 , Bird (1995) , P : 31 , Boltansky (1999) , P : 113 , Kager (1999) , P : 12-13
(27) ينظر : النّظريّة التّفاضليّـــــــــــة ، كاجير ، ص : 11 .
(28) See : Heiberg (1999) , P : 58 , Archangeli (1997) , P : 14 , McCarthy & Prince (1997) , P : 58 .
(29) ينظـر : الأفعـال المعتلّـة ؛ مقاربة أمثليّـــة ، عبـد الرّزاق توابـي ، منشـورات معهد الدّراسـات والتّعريـب ، الرّبـاط ، 2004 ، ص : 284- 285 .
(30) ينظـر : بنية الكلمـة في اللّغـة العربيّـة ، تمثيلات ومبـادئ ، محمـد بلبول ، منشـورات فكـر ، الرّبـاط ، ط1 ، 2008 ، ص : 34 .

(31) العلامـــة " ~ " تدلّ على التّأنيـــــــــــــــف / الغنّـــة .
(32) الاختصـــــــــارات : " أن " : أنفيّ ، " طر " : طرفيّ ، " أص " : أصليّ .
(33) Voir : El Medlaoui , M (1995) ; P . 98 .
(34) أساسيّات علْم الكـــــــــــلام ، ص : 229 .

المصادر والمراجع :

_ القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم ، دار البيان العربـــــــــــــــــــــي ، 2006 .
_ القرآن الكريم ، بقراءة نافع وبرواية ورش ، طبع المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعيّة ، الجزائر ، 1989 .

أ. المصادر والمرجع العربية :

_ ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد ؛ النّشر في القراءات العشـــر، دار الكتب العلميّة ،د.ط ، د.ت ، بيروت.
_ الاسترابادي ، رضي الدّين محمد بن الحسن ؛ شـــرح شّافية ابن الحاجب ، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ومحيي الدّين عبد الحميد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت .
_ ابن عصفـور ، علي بن مؤمن الإشبيلي ؛ الممتع في التّصريـف ، تحقيق : فخر الدّين قباوة ، منشـورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1978.
_ بوردن ، جلوريا ج. ، هاريس ، كاترين س. ، أساسيـات علـم الكلام ، ترجمـة : محي الدّين حميدي ، دار الشّـروق العربي ، د.ط ، د.ت ، بيروت .
_ بلبول ، محمد ، بنية الكلمـة في اللّغة العربيّة ، تمثيلات و مبـادئ ، منشورات فكر ، الرّباط ، ط1 ، 2008 .
_ الدّاني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي :
_ التّحديد في الإتقان والتّجويـد ، دراسة وتحقيـق : غانم قدّوري حمد ، دار الأنبار ، العراق ، د.ط ، 1988 .
_ التّحديد في الإتقان والتّسديد في صنعة التّجويـــد ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي ، تحقيق ودراسة : أحمد عبد التّواب الفيومي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1993
_ القيسي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب :
_ الرّعاية لتجويـد القراءة وتحقيق لفظ التّـلاوة ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية .
_ الكشـف عن وجـوه القـراءات السّبع وعللهـــا وحججها ، تحقيق : محيي الديّن رمضـــان ، مؤسّسة الرّسالة ، ط4 ، 1987.
_ كاجيـر ، روني ، النّظرية التّفاضليـة ، ترجمة فيصل بن محمد المهنّا أبا الخيل ، مركـــز التّرجمـة بجامعة الملك سعـــود ، الرّياض ، المملكة العربية السّعودية ، 2004 .

ب : المراجع الأجنبية :

- Archangeli , Diana ; Optimality Theory : An Introduction to Linguistics in the 1990s , Explaining Linguistics , D. Archangeli and T. Langendoen editions , Oxford Blackwell , 1997 .
- Bird , S ; Computational phonology , Cambridge university press , 1995 .

- Boltansky , Jean - Elie , Nouvelles directions en phonologies , 1ère édition , Presse universitaire de France , 1999 .
- Clements , G.N. ; On The Representation of Vowel Height, Cornell University, N.Y 1989 .
- El Medlaoui , Mohamed ; Aspects des représentations phonologiques dans certains langues chamito-sémitiques , publié par : Faculté des Lettres et des sciences humaines , Rabat , 1ère Edition , 1995 .
- Heiberg Andria Jeanine ; Features in optimality theory : A Computational Model , A Dissertation Submitted to the Faculty of the Department of Linguistics , The Uni versity of Arisona , 1999 .
-Kager , René (1999) , Optimality Theory , Cambridge University Press 9 .
- McCarthy , John Joseph & Prince , Alan ; l'émergence du non-marqué , l'optimalité en morphologie prosodique , proceedings of NELS 24 GLSA , Am herst, MA . Traduit de l'Anglais par : Marc Klein , 1997 .
- Piggott , G.L ; Variability in Feature Dependency : The case of Nasality , Natural Language and Linguistic Theory , Vol. 10 . 1992 , pp : 33-77 .
- Prince , Alan & Smolensky , Paul ; Optimality theory ; Constraint interaction in generative grammar , Rutgers University , 1993 .
- Pulleyblank , Douglas ; Optimality theory and Features , Explaining Linguistics, D. Archangeli and T. Langendoen editions , Oxford Blackwell, 1997 .

ج : المقـــالات :

_ تورابي ، عبد الرّزاق ، الأفعال المعتلّة ؛ مقاربة أمثليّة ، في : سمات الفعل وَ طرق بنائها ، إشراف عبد القادر الفاسي الفهري ، منشورات معهد الدّراسات والتّعريب ، الرّباط ، 2004 .